# فصل في
## حال الجن عند مبعث النبي ﷺ

**قال الله تعالى عن الجن إنهم قالوا:**

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) ﴾ [ الجن : ٨-١٠ ] .

**قال الحافظ بن كثير -رحمه الله - في تفسيره:** (١)

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن،وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً،وحفظت من سائر أرجائها،وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهان فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق من الكاذب،وهذا من لطف الله تعالى بخلقه،ورحمته بعباده،وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) ﴾ [الجن :٨-٩]: أي من يروم أن يسترق السمع يجد له شهاباً مُرصداً له لا يتخطّاه ولا يتعدّاه بل يمحقه الله اليوم ويهلكه .

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) ﴾ [الجن ١٠ ] : أي ما ندري هذا الأمر الذي حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ،وهذا من أدبهم في العبارة ،حيث أسندوا الشرّ إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله ـ عز وجل ـ اهـ.

**ثم قال -رحمه الله-:** (٢)

ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ،وهو كثرة الشهب في السماء والرمي،هال ذلك

---

(١) (٨/١٨٩) .
(٢) (٨/١٩٠) .

الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السُّدِّي: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين الله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد من السماء الدنيا يستمعون ما يحدث من أمر، فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رُجِموا . ا هـ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إنِّي لأظُنُّه كذا إلا كان كما يظن. فبينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظنِّي أو أن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم. عليَّ بالرجل.

فدعي له فقال له ذلك.

فقال الرجل: ما رأيت كاليوم أستقبل به رجل مسلم. قال عمر: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني .

قال: كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءت به جنيتك؟ ، قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عمر: بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجلٌ بعجلٍ فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صراخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح أمرٌ نجيح رجلٌ فصيح يقول: لا إله إلا أنت. فوثب القوم.

قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا.

ثم نادى: يا جليح أمرٌ نجيح رجلٌ فصيحٌ يقول: لا إله إلا الله.

فقمت فما نشبنا أن قيل: هذا نبي »[1] .

**معاني بعض الكلمات:**

« الكاهن: الذي يتعاطى الخبر من الأمور الغيبية،وكانوا في الجاهلية كثيراً،

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب ( المناقب ) باب ( إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ) برقم ٣٨٦٦ .

فمعظمهم كانوا يعتمدون على تابعه من الجن.

إبلا سها: معناه اليأس، أي أن الجن فقدت أمراً فشرعت تفتش عليه.

ويأسها بعد إنكاسها: معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألِفَتْهُ ،فانقلبت عن الاسترق، قد يئست من السمع.

جليح: يحتمل أن يكون نادى رجلاً بعينه ، ويحتمل أن يكون أراد من كان بتلك الصفة » (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حِيْلَ بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حِيْلَ بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا: ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾ [ الجن : ٢ ] .

فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ وإنَّما أوحي إليه قول الجن » (٢) .

كل ما سبق يدل على أن بعثته ﷺ حدث عظيم جرت بسببه حوادث عظيمة في الأرض والآفاق دلالة على شرف بعثته ، وأنها حدث عظيم في تاريخ البشرية.

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٧/٢١٨-٢٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب ( الأذان ) باب ( الجهر بقراءة صلاة الفجر ) برقم ٣٧٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب ( الصلاة ) باب ( الجهر بالقراءة بالصبح والقراءة على الجن ) ، برقم ٤٤٩ .

# فصل في

## حال الناس عند مبعث النبي ﷺ

لقد بعث الله عبده ورسوله محمداً ﷺ وأهل الأرض أحوج ما يكونون إلى رسالته ، فإنهم كانوا بين عُبَّاد أوثان ،وعباد صلبان،وعباد نيران، وعباد كواكب، بعثه الله في حين فترة من الرسل وانطماس من السبل ، نظر الله إلى أهل الأرض قبل بعثته فمقتهم ، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

أما المجتمع الذي بعث فيه محمد ﷺ فقد كانوا أهل جاهلية بكل ما تحمله الكلمة من معنى،لا يحكمون بشريعة ولا يتحاكمون إلي شريعة، إنما هي شريعة الغاب، يأكل قويهم ضعيفهم، من استحسن شيئاً دعا إليه، وقاتل من خالفه عليه شعارهم:

ومن لا يذدْ عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يظلم الناسَ يُظْلَمِ

عقائدهم من أفسد العقائد ،يعبدون الأوثان ويتلاعب بعقولهم الشيطان ،يصنع أحدهم إلاهاً له في أول النهار من التمر فإذا جاع آخر النهار أكله.

إذا اجتمع أشرافهم وبلغاؤهم فللتفاخر بالآباء والأجداد ولتعداد المآثر والأمجاد ، أمَّةٌ أميةٌ لا تقرأ ولا تكتب.

من وُلدت له أنثى بادر بدفنها وهي حية خشية العار ـ كما زعموا ـ لا تُعطى المرأة شيئاً من الميراث ، بل تعدُّ من سقط المتاع.

يأكلون الميتة والدم، ويشربون الخمور،حتى أن أحدهم كان لا يتحاشى ما أكل، فقد قيل لبعضهم ما تأكل قال: كل ما دبَّ ودرج إلا أم حبين.فقيل:ليهنأ أم حبين العافية.

بعث الله النبي ﷺ والنكاح فيهم على أضرب كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليَّته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

**ونكاح آخر** : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها ـ أي حيضها ـ

أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها لا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

**ونكاح آخر** : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ، ومر ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

**والنكاح الرابع** : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بُعِثَ محمدٌ ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله ، إلا نكاح الناس اليوم »[1] .

« فأغاث الله به البلاد والعباد ،وكشف به تلك الظلم،وأحيا به الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة،وعلَّم به من الجهالة ،وكثّر به بعد قلة وأعزّ به بعد ذلّة ، وأغنى به بعد العيلة ، وفتح به أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمًّا ، وقلوباً غُلفاً ، فعرَّف الناس بربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تنال قواهم من المعرفة .

وابدأ وأعاد وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين ،وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره،ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف،لا إلى من قبله ولا إلى من بعده،بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل متكلم في هذا الباب ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [ العنكبوت :٥١ ] .

---

( ١ ) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب ( النكاح ) باب ( من قال لا نكاح إلا بولي ) ، برقم ٥١٢٧ .

وعرَّفهم الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته ، ولم يدع حسناً إلا أمرهم به ، ولا قبيحاً إلا نهى عنه ،كما قال أبو ذر رضي الله عنه : « لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه إلا وذكر لنا منه علماً » .

وعرَّفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف ، فكشف الأمر وأوضحه ، ولم يدع باباً من العلم النافع للعباد المقرِّب لهم إلى ربهم إلا فتحه ، ولا مشكلاً إلا بيّنه وشرحه، حتى هدى الله به القلوب من ضلالها ، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها من جهلها »[١] .

فصلوات ربي عليه وسلامه آناء الليل وأطراف النهار.

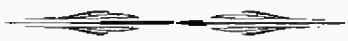

(١) جلاء الأفهام ( ٢٨٥-٢٨٨ ) ، باختصار .